

النشاط التجاري بين حوضي البحر المتوسط: وهران واسبانيا خلال القرن 12 هـ -18م نموذجاً

**Trade Activity Between the Two River Sides of the Mediterranean:
Oran and Spain 12H-18AJ as an Illustration**

أ. حيمي عبد الحفيظ

جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر
hafidhistoire1463@gmail.com

د. بن واز مصطفى

جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر
mostaphabenouaz@gmail.com

تاريخ القبول: 2020/03/22

تاريخ الاستلام: 2019/10/16

الملخص: لقد عرفت الجزائر بصفة عامة ووهران بصفة خاصة نشاط عدة شركات اسبانية في مختلف المجالات التجارية تصديرا واستيرادا، ومن هذه الشركات: شركة قويناش، شركة ورقال، شركة كمبانا، شركة غاريغو وشركة باترو. وعرف التبادل التجاري البيني نشاطا كثيفا في مجال الحبوب، المواشي وما يرتبط بها تصديرا، في حين كانت الواردات تتمثل في السلاح والخلي، فالتأمل لواقع التبادل يدرك مدى سيطرة الإسبان تجاريا، مما كان يدر أموالا طائلة عليهم. إن الواقع السياسي كان يؤثر سلبا وإيجابا في تقارب اسبانيا ووهران، ولذلك كثيرا ما كانت المعاهدات هي الفاصل في هذا التقارب كمعاهدي 1785 و 1791 م. وما كان ليكون هذا الاحتلال لو امتلك الجزائريون آنذاك نظرة بعيدة في كيفية التعامل مع الآخرين حفاظا على مصلحة الوطن.

الكلمات المفتاحية: وهران؛ إسبانيا؛ حبوب، تصدير؛ استيراد؛ موانئ.

Abstract : Algeria has been known in general and Oran particular activity several companies, like: Goyenechen , Régal , campana , Garrigo , and patron.

Intraregional trade is known in the field of grain , and livestock, associated exporter, while imports were represented in the arms and ornaments. Watching the reality of the exchange control Spaniards realize how commercially important it generates a lot of money on them. The political reality was positively and negatively affect the treaty of Spain and Oran, so they were often treaties are dividing in this treaty like treaties of 1785 and 1791. And colonization wouldn't have happened if the Algerians had been then farsighted on how to deal with the other in order to preserve the interests of the nation.

Key Words: Oran; Spain; Grains; Export; Import; Ports.

JEL Codes : N73, N77.

مقدمة:

منذ سقوط الأندلس في نهاية القرن (9 هـ / 15 م) اتسمت العلاقات الجزائرية الإسبانية بالفتور نظرا لموقف الجزائر الداعم لمسلمي الأندلس، واعتبرت إسبانيا ذلك موقفا عدائيا، نتج عنه احتلال الإسبان للجزائر بداية القرن (10 هـ / 16 م)، وكان ذلك إيذانا بدخول الدولتين في حرب دامت زمنا طويلا تخللتها فترات سلم ورخاء، بيد أن الأمر لم يستتب إلا بعد إخراج الإسبان بعد احتلال دام لأكثر من قرنين ونصف خاصة لوهران (915 هـ - 1206 هـ / 1509 م - 1792 م).

وإذا كانت العلاقات في عمومها بين الطرفين قد اتسمت بالتأرجح حربا وسلما، فإن هذا السلم امتاز بالتقارب الاقتصادي، خاصة التجاري منه، وهو ما يتضح من خلال عدة اتفاقيات ولعل أبرزها اتفاقية (1205 هـ / 1791 م) بين وهران وإسبانيا.

تعد وهران من أبرز المدن الجزائرية نظرا لموقعها البحري، وإمكاناتها المتعددة المادية والبشرية، فالحديث عن وهران وإسبانيا حديث عن تاريخ وجغرافية، فالتاريخ المشترك اتضح بشكل جلي منذ الفتح الإسلامي وتبعاته السياسية والثقافية، وأما الجغرافية فوهران مركز تجاري ومرفأ بحري على ساحل المتوسط سهل التواصل بين الطرفين، هذه الأهمية اتضحت من خلال شهادات الرحالة والجغرافيين الذين زاروها وشاهدوها عن قرب، من بين هؤلاء:

- ابن حوقل (ت 367 هـ / 977 م) الذي يقول "... ولمدينة وهران مرسى في غاية السلام والصون من كل ريح وما أظن له مثيلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى... وله مدخل آمن... وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال..." (ابن حوقل، 1938).

- الإدريسي (ت 547 هـ / 1151 م) "... وبها أسواق مقدرة وتجارة نافقة... ولها على بابها مرسى صغير... ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسى (والأصل في الفعل رسا يرسو وليس يرسى) المراكب الكبار والسفن السفيرية.. ومراكب الأندلس إليها مختلفة..." (الإدريسي، 1988).

- ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع:

- مقال موسوم بـ "وهران في القرن الثامن عشر من الحيرة إلى الوضوح السياسي لصاحبه عصمت تركي حسن وقد نشر في مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الإنترولوجيا والعلوم الاجتماعية في العدد 23 24 (2004).

- مذكرة ماجستير موسومة بـ "العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وإسبانيا (1200-1245 هـ / 1786 - 1830 م) لصاحبها أحمد بن موفقي تحت إشراف أ. د مختار حساني.

كانت اتفاقية (14-01-1206 هـ / 12-09-1791 م) بداية جديدة لتطور النشاط التجاري لإسبانيا، فرغم أن الاتفاقية جاءت لتضع حدا للمواجهات العسكرية والتي بموجبها تم استعادة وهران، إلا أنها حملت في طياتها بنودا عديدة تتعلق بالجانب التجاري، ومن أهم البنود التي تتعلق بهذا الجانب:

○ السماح بصيد المرجان على طول السواحل الغربية.

○ يحق للإسبان شراء ألف حمولة من القمح كل سنة بالسعر العادي للدولة بدون زيادة الرسوم، ودون أن يكون للبائى حق تغيير سعر هذه السلعة.

○ يسمح للتجار الإسبان دخول المرسى الكبير بشكل خاص دون سواه. (Fey, 1858) (كافة بنود الاتفاقية ينظر الملحق).

إن المتأمل لبنود الاتفاقية في جانبها التجاري، يلاحظ التبعات التجارية لبنودها نظرا لقوة الطرف الاسباني، إذ نلاحظ ضمان الإسبان لاستيراد المواد الأولية التي يحتاجونها في صناعاتهم كالمرجان الذي يعد مادة أساسية في عدة صناعات كالحلي مثلا، إضافة للتأكيد على استيراد الحبوب لأهميتها الاقتصادية والاجتماعية.

إن إشكالية التجارة بين وهران واسبانيا تتمحور حول طبيعة المؤسسات الإسبانية واحتكارها للتجارة، وتأثير ذلك على وهران والجزائر قاطبة خاصة مع سيطرة اليهود، وبالتالي لنا أن نتساءل، ما هي أهم هذه المؤسسات الاسبانية الناشطة في وهران؟ وما طبيعة المبادلات التجارية في ظل نشاط موانئ الضفتين؟ وكيف استطاعت اسبانيا السيطرة على التجارة دون وجود منافسة حقيقية مع وهران؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج السردى لعرض أبرز المعلومات مع الاستنباط والاستقراء بالوصول إلى النتائج. وسنتطرق في بحثنا إلى ما يلي: الشركات التجارية، طبيعة التبادل التجاري، الموانئ التجارية.

1. الشركات التجارية:

إن هذا الواقع الجديد يبدو أنه فتح الباب على مصرعيه للإسبان خاصة ، وهو ما شجع الشركات التجارية الاسبانية على النشاط في الجزائر مثل : شركتا قويناش وريغال (Goyeneche et Régal)، شركة كمبانا (Campana) ، شركة غاريغو (Garrigo)، شركة باترو (Patron)، وشركتا صيد المرجان: دي لاييسكا (De la Pesca) و دي لافيلا (de la Villa) ، وتفاديا للتكرار في الحديث عن هذه الشركات خاصة وأنها متشابهة ومتداخلة في نشاطها التجاري، آثرت الوقوف على أكثر الشركات الاسبانية نشاطا على مستوى وهران كانت كما يلي:

1.1. شركتا قويناش وريغال (Goyeneche et Régal):

تأسست سنة (1205 هـ / 1790 م) بدعم من البنك الوطني ، وقد سميتا على اسمي مالكيهما ، وكان اهتمام شركة قويناش بالحبوب يهدف لتموين الجيوش الملكية ، أما شركة ريغال كلفت بتزويد الإيالة بـ 500 قطار من الرصاص بطلب من الداى حسين باشا، وقد رفض رئيس الحكومة فلوريدا بلانكا (Floridablanca) تمتع هذه الشركة بأي احتكار للحبوب في منطقة وهران ، غير أن قوة المال كانت حاضرة فاستطاعت تجاوز تعليمات الوزير وأقامت علاقات مع باي معسكر ، حيث تحصلت على صفقة منه بقيمة 100 ألف حمولة من الحبوب سنة (1207 هـ / 1792 م). (بن موفقي، 2011)

أخذت الشركتان الإذن من كاتب الدولة للدخول في مفاوضات مع الجزائر بقيادة قويناش (Goyeneche) بشراكة جدية مع ريجال (Régal)، وأيضا كانتا الممون الرئيسي للجيش في مختلف المدن الرئيسية في بالانسيا، موريسيا بلقا و الجزيرة الخضراء. وسعت هذه الشركة من خلال تكليف نائب القنصل ديلاريا (M.Delarrea)، لمفاوضة الداى في أسعار معقولة قصد شراء مكاييل من الحبوب أمام تراجع الإنتاج وسعيا منها لتكثيف استيراده (Ismet, 2005). إن هاتين الشركتين لم تستطعا مجارة الأوضاع الاقتصادية فكانت نهايتهما الإفلاس.

2.1. شركة كامبانا (Campana):

تأسست سنة (1206 هـ / 1791م)، كان يمتلكها دون مانويل كامبانا (don Manuel Campana) مقرها قاديس (Gadés)¹، و قد تم اختيارها من قبل الملك شارل الرابع، حيث كانت تتفرغ حصريا لتجارة الحبوب واللحوم الصوف، الجلود، الشمع، وكان ممثلها دومينغو رومن (Domingo Roman) (Ismet, 2004) يقيم بوهرا. و لقد نجحت هذه الشركة في استيراد 32122 مكيال من الحبوب بين (1207 - 1208 هـ / 1792-1793 م) وقد اعترف رئيس هذه الشركة بأن هامش ربح الشركة في وهران كان أهم مما تحقق في الدار البيضاء حيث كان نشاطها في أول الأمر بالمغرب (Ismet, 2004).

إن وباء الطاعون الذي ضرب العاصمة شهر ماي (1207 هـ / 1792م) كان من بين المصاعب الأولى للشركة، وبالمقابل فإن طول مدة نقل الأنعام إلى مستشفى لازارات (lazaret) بجزيرة الماهون (mahon) بجزر البليار، وما يرتبط بفصل الأنعام خوفا من العدوى، كل ذلك دفع السلطات في مدريد للتدخل في حل هذا الإشكال، من خلال تقليص مدة نقل الأنعام إلى 12 يوما، وإنزالها في أقرب الموانئ الجزائرية لاسبانيا، هذا الحل يبين أن الحكومة الاسبانية كانت تتابع باهتمام كبير تطور هذا الاحتكار التجاري لوهران، لكن الأمور بدأت في التغير مع (1209 هـ / 1794م) أي منذ أن بدأ التجار الإسبان والفرنسيون الظهور في سوق أرزيو، وقد أدى ذلك إلى تراجع أرباح الشركة من خلال ارتفاع أسعار السلع وتراجع كمية المنتجات المستورد (Ismet, 2005).

إن الملاحظة المستقاة، هي أن الإسبان كانوا يستوردون الحبوب والملواشي خاصة، وهذا يحمل أكثر من دلالة لعل أهمها توفر الإمكانات المادية والبشرية للنشاط الزراعي، كيف لا والرحالة قد ذكروا فيما سبق نشاطا زراعيا كبيرا بوهرا ونواحيها، يقول البكري " مدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء ماء وبساتين..." (البكري، 1992)، وأما الإدريسي فيقول "...وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ومراكب الأندلس إليها مختلفة وفي أهلها دهاقنة وعزة أنفس ونخوة" (الإدريسي، 1988). إذا لم تلبث هذه الشركة أن بدأت تعاني من مشاكل أدت بها إلى الإفلاس من بينها:

- ظهور شركات منافسة إسبانية وفرنسية قصد المنافسة التجارية.

• عائق قانوني " بموجب المرسوم الملكي (18-04-1206 هـ / 16-12-1791 م) يمنع كل مواطن إسباني من المتاجرة بوهران والمرسى الكبير " ، كما أن باي وهران كان يحتكر المنتجات التي تباع في منطقته، حيث كان يطبق قانون المنافسة والذي كان لصالحه (Ismet,2004).

إن نتيجة هذه المعطيات أفضت إلى ارتفاع الأسعار أمام تراجع كمية المواد المستوردة وتراجع الأرباح، كل ذلك أفضى إلى تراجع هذه الشركة خاصة مع صعوبات ارتبطت بتحويل الأموال من إسبانيا نحو وهران مما اضطرها للانسحاب نهائيا من وهران في (09-02-900 هـ / 17 - 11 - 1494 م) بعد أن تخلصت جميع ديونها (Ismet,2004)، ويبدو أن تأثير المال كان واضحا حيث تم تعيين ممثل شركة كمبانا نائبا لقنصل الجزائر، مما أعطى لها دعما سياسيا ستظهر آثاره المستقبلية على الطرفين خاصة إذا كان الاتفاق ذا أهداف خاصة بعيدا كل البعد عن مصالح الوطن.

3.1. شركتنا "دي لايسكا (De la Pesca) و دي لا فيلا (de la Villa)":

شركة اهتمت بصيد المرجان بسواحل بايلك الغرب بعد اتفاقية وهران لصاحبها خوان موري (Juan Mauri) صاحب جيرونا بكتالونيا، كانت هذه الشركة تنشط في سواحل ايلالة طرابلس لكن تعب الصيادين والمصاريف المرهقة في هذه المنطقة البعيدة مقارنة بإسبانيا ، إضافة إلى المنافسة الدائمة والمتصاعدة لصيادي نابولي وجنوة دفعتها لتكون قرية من السواحل القريبة من إسبانيا لتنظيم أكثر لهذه الشركة ، إضافة إلى أن هذه الشركة كانت معروفة لدى السلطات الجزائرية لكي تسمح لها بممارسة صيد المرجان بين أرزيو ومستغانم جويلية (1205 هـ / 1790 م)، أي في فترة كانت وهران والمرسى الكبير تحت سيطرة الاحتلال الإسباني (Ismet,2005). إن شركة دي لايسكا كانت حاضرة بوهران في سنة (1205 هـ / 1790 م) ، مما سمح لها بأن تفوز بترخيص من الداوي حسن باشا يسمح لقواربها الثمانية بالصيد بحرية خلال شهري جويلية وأوت (1207 هـ / 1792 م) ، وقد استطاعت أن تصطاد كمية كبيرة من هذه المادة (Ismet,2004).

لقد كان مركزها في وهران وجاء دورها تكملة لدور شركة كمبانا حيث بدأت نشاطها على سواحل وهران وأرزيو، وبدأت عملية الاستكشاف في (15-12-1206 هـ / 03-08-1792 م) (بن موفقي، 2011)، هذه الشركة وفي سبيل تحقيق أهدافها في فترة التجربة عملت هذه الشركة على تعبئة خمسين من صيادي المرجان في أعماق البحر بين الجزائر ووهران، وقد استطاعوا خلال شهري أوت وسبتمبر وبداية شهر أكتوبر من الحصول على كمية هامة من المرجان، لكن نظرا لمشاكل سياسية داخلية في إسبانيا قدم الكونت فلوريدا بلانكا (Floridablanca) استقالته من وظائفه، لم تستطع هذه الشركة توقيع اتفاقية الصيد مع ايلالة الجزائر (Ismet,2005). للتذكير يعد المرجان من الأحجار الكريمة التي تدخل في عدة صناعات كصناعة الحلي، وهو ما دفع إسبانيا للاهتمام بصيده على الساحل الوهراني.

ولأنها أخطأت في تصوراتها فقد وقعت في مشاكل مالية نتيجة زيادة الضرائب، إضافة لوضع الحكومة الجزائرية لملاحظ عنها قريب من متابعة أوضاع الشركة (بن موفقي، 2011).

إن تعدد الشركات الإسبانية وتعدد نشاطاتها يدل دلالة واضحة على إرادة إسبانيا في السيطرة ليس على الاقتصاد الجزائري فحسب، بل على سياستها وثقافتها، وما قامت به في الجزائر من نشاط تجاري كان في حقيقته تمهيدا بطيئا ونظرة بعيدة المدى للسيطرة مستقبلا على إفريقيا.

إن ما يلفت الانتباه هو غياب التجار الجزائريين، وهو ما يحيلنا إلى طرح التساؤلات حول الأسباب الحقيقية لذلك، ويبدو أن الاختلال الذي بدأ يظهر بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، أعطى لهذا الأخير ظهورا أكبر نتيجة بداية ثمرات الثورة الصناعية، أو لأن التجار الجزائريين لم يحسنوا التعامل مع الحكام الإسبان أو أحسنوه ولم يصلوا إلى شيء، أو في الأخير لعل تعامل التجار الجزائريين مع الجهة الشرقية نحو إيطاليا غلب على تجارتهم، وأن الحكام في الجزائر لم يكونوا في مستوى تطلعات تجار بلدهم.

لقد كان للدبلوماسية دور كبير في حركية التجارة بين الجهتين، فقد لعب القنصل الإسباني دورا فعالا لخدمة بلده من خلال تكثيف الاتصالات مع السلطات الجزائرية ومن ذلك تدخله لدى بيت بربرية عام (1202 هـ / 1788 م)، وبفضل جهوده تحصلت على حمولات من الحبوب، ونفس الأمر تكرر مع شركة قويناش حيث تحصلت على 60 ألف كيلة، بعد مفاوضات قنصلها العام (بن موفقي، 2011).

ولا يجب أن نغفل في هذه الفترة بداية تنامي الدور اليهودي في حركية اقتصاد وهران، نظرا للعلاقات التجارية التي نسجوها لتحقيق أهدافهم، والتي انجرت من ورائها عواقب وخيمة أثرت سلبا على ديمومة استقرار البلاد، فقد كان اليهود يسيطرون على التجارة، ولاشك أن كانت لهم علاقات مع وهران، حيث كانوا يسيطروا على ثلثي العمليات التجارية والمالية، والباقي بين الأندلسيين ونائب القنصل نفسه، وقد احتكروها رغم أسبقية الإنجليز في ممارسة التجارة خاصة في مجال السلاح ومعدات السفن (Lespes, 1934).

إن هذا التصور في تعامل رجال المال والأعمال وتحرك السياسة وفق أهدافهم الخاصة يعطي الانطباع بوجود خلل في المنظومة التجارية للبلاد، مما انعكس سلبا على البلاد في مختلف المجالات، وهو ما تحقق في دنيا الواقع آنذاك، وما زال إلى اليوم في واقعنا المعيش وكانت الانعكاسات على الجزائر أكثر.

2. طبيعة التبادل التجاري:

وباعتبار الحبوب من أهم المنتجات في إيالة وهران، فإن الإسبان ما انفكوا يعملون على الحصول على كميات معتبرة من هذه المادة الحيوية، ففي الفترة الممتدة (1169 - 1187 هـ / 1756 - 1773 م) تحصلت الجزائر على حمولات كبيرة من الحبوب، ذلك أن الإسبان كانوا يعملون على توفير هذه المادة تسويقا وتخزيناً. وفي الفترة الممتدة (1201 - 1203 هـ / 1787 - 1789 م) تحصلت إسبانيا على 32 حمولة من الحبوب، منها 73548 كيلة من القمح و 42165 كيلة من الشعير (بن موفقي، 2011).

يبدو من خلال المعطيات السالفة، أن الإسبان تحصلوا على كميات معتبرة من الحبوب لأن وضع البلاد كان تحت سيطرتهم (وهران والمرسى الكبير)، وبالمقابل بعد اتفاقية (1205 هـ / 1791 م)، فإن باي معسكر وعد

بييع شركة قويناش 100000 كيلة من الحبوب ، كما تحصلت كمبانا على 42239 كيلة من القمح و 4540 كيلة من الشعير .

وبالمقابل تراجعت بعد ذلك الشركات الإسبانية لتختفي سنة (1211 هـ / 1796 م) بفعل تأثير اليهودي بكري التي احتكر سوق الحبوب، خاصة من خلال التنسيق بين يهود إسبانيا في المدن الساحلية كالجزيرة الخضراء، مالقة، الميريا و قرطاجنة، واليهود الموجودين في وهران ونواحيها (Lespes, 1934).

وكان بكري وبوشناق اليهوديان خاصة مع بداية (1215 هـ / 1801 م) قد تحصلا بموجب شركتهما على حق احتكار تجار الحبوب في كامل الإيالة بما في ذلك باي وهران ، الذي أمر بتجارة القمح لصالح بوشناق فقط ، وهذا النشاط ضايق كثيرا من الاسبان الذين لم يجدوا طريقة إلا التعامل مع اليهود (مغزي، 2016).

لم تكن الحبوب هي المادة المصدرة، بل نجد كذلك المواشي، حيث احتكرت شركة كمبانا هذا المجال، فقد قامت الشركة بشحن 4240 رأس من الغنم و 457 من الأبقار ، كما عرفت سنة (1207 هـ / 1793 م) شحن 2851 رأس من الغنم و 699 رأس من الغنم (بن موقفي، 2011).

إن تعدد المشاكل سيجعل هذه الشركة تسير نحو الإفلاس في هذا المجال ومن بينها التكلفة بسبب النقل، هامش الربح الضعيف.

لقد صدرت إسبانيا من الجزائر الجلود والصوف، ويبدو أنه كان بكميات وفيرة، وهو ما يوضحه ليسباس (LESPESES) "... لقد كانت الصادرات والواردات متنوعة منتجاتها... وصرح نائب القنصل بوهران، بأنه بإمكاننا في كل السنوات أن نأخذ 4000 آلاف قطار من الصوف ، 300 قطار من الشمع ، 12 ألف إلى 15 ألف من جلود البقر ، ومن 8 إلى 10 حمولات من القمح ، الشعير والفول (Lespes, 1934).

إن هذا التصريح يوضح عدة أشياء منها توفر المنتجات الزراعية والحيوانية باختلاف أنواعها إضافة إلى المساعدة التي كانت تقدمها الحكومة الإسبانية للشركات، وهو ما يوضح الاحتكار للتجار الإسبان في وهران. أما ما تعلق بالواردات فكانت تتركز في السلاح والمواد الفاخرة كالعطور و الحلبي.

إن المنتج لواقع التبادل التجاري بين وهران وإسبانيا يلاحظ بشكل واضح أن السلع كانت محتكرة من جانب واحد وتسير باتجاه واحد، وأن اتفاقية (1205 هـ / 1791 م) أعطت زخما قويا خاصة للإسبان حتى يصلوا ويجولوا في مجال احتكار التجارة ، ويبدو كذلك أن تنافس الأوروبيين أضحى واضحا خاصة مع إنجليز جبل طارق والفرنسيين لوهران، دون أن نغفل أن الوضع السياسي الداخلي من خلال الثورات في العهد العثماني، والأوضاع الطبيعية كالجفاف وزلزال (1204 هـ / 1790 م) كل هذا أثر بشكل سلبي على ديمومة الإنتاج وعلى مستواه مما عرض الاقتصاد لهزات كبير. وما كانت هذه التجارة لتجد لها رواجاً لولا توفر المواصلات خاصة السفن بجميع أنواعها وتوفر الجانبين على موانئ لتصدير واستيراد السلع ، ومن هذه الموانئ:

3. الموانئ التجارية:

1.3. الموانئ الجزائرية (موانئ جهة وهران):

أ. ميناء وهران: "وهران... ومينائها مشهور مأمون في الهول. ويقابل مدينة باديس من بر الأندلس... ومنها يحمل التين المالحى واللوز إلى الأقطار. لعب الميناء دورا كبيرا في حركة التجارة تصديرا واستيرادا وقد عمل الإسبان على توسيعه بغية تحقيق أهدافهم التجارية" (ابن سعيد، 1970).

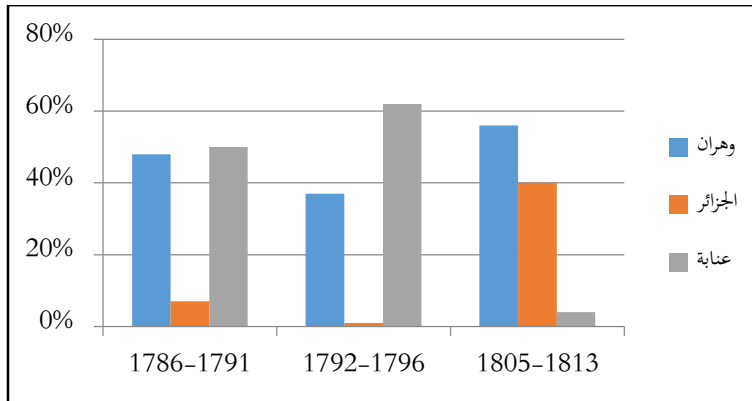
ب. المرسى الكبير: يقول الإدريسي "... به ترسي السفن الكبار وهو يستر من كل ربح، لا مثال له في المراسي، وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات..." (Fey, 1858). إضافة إلى منائي أرزيو و مستغانم الواقعين شرق وهران واللذان لعبا في هذه الفترة دورا في نشاط التجارة تصديرا واستيرادا وإن كان بدرجة أقل من ميناء وهران والمرسى الكبير.

الجدول 01: "حركة التجارة للموانئ الجزائرية بين (1786 - 1813 م)"

المدة	وهران	الجزائر	عنابة
1791 - 1786	48%	7%	50%
1792 - 1796	37%	1%	62%
1805 - 1813	56%	40%	4%

المصدر: (بن موفقي، 2011)

الشكل 01: "الحركة التجارية للموانئ الجزائرية"



2.3. الموانئ الإسبانية:

أ. ميناء برشلونة: مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، وبرشلونة على البحر، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة، وبها ربح، عليها سور منيع (الإدريسي، 1988)، وهي عاصمة إقليم قطلونيا (catalonia) الواقع في الشمال الشرقي من إسبانيا تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. وصارت

قاعدة مملكة أراجون (aragon) التي لعبت دوراً أساسياً واقتصادياً هاماً في البحر المتوسط (الحميري، 1988).

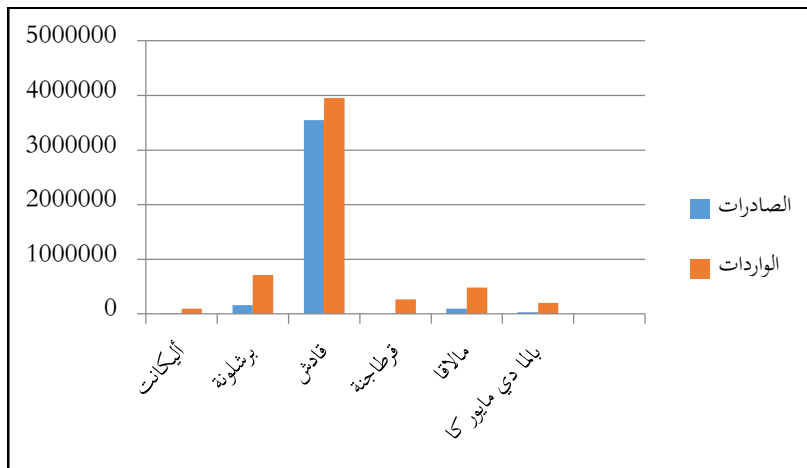
ب. ميناء قرطاجنة: هي فرضة مدينة مرسية، وهي مدينة قديمة أولية بها ميناء ترسي فيه المراكب الكبار و الصغار، ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر أربعون ميلاً وكان هذا الميناء مختص في تصدير الحبوب وتوريدها (الحميري، 1988).

الجدول 02: " قيمة الصادرات والواردات لمختلف موانئ إسبانيا " الوحدة: الريال

الموانئ النشاط	أليكانت	برشلونة	قادس	قرطاجنة	ملاقا	بالما دي مايوركا
الصادرات	3060	158267	3538571	-	94800	29594
الواردات	94997	708839	3953531	261996	484378	200236

المصدر: (بن موفقي، 2011)

الشكل 02: " قيمة توضح الصادرات والواردات لمختلف الموانئ الإسبانية "



وفي قراءة سريعة للبيانات السابقين نلاحظ:

- احتكار ميناء وهران للتجارة بشكل واضح تليه عنابة ولعل ذلك يرجع إلى عامل القرب وسهولة التنقل بين مختلف الموانئ الإسبانية وميناء وهران والمرسى الكبير.
- عجز الميزان التجاري لصالح وهران نظراً لتبعية الإسبان في مختلف حاجاتهم المصدرة منها.

إن هذه المعطيات توضح مدى الاختلال الذي كان سائداً بين الدولتين، في حين استطاع الإسبان احتكار التجارة وفق منطق القوة لا قوة المنطق، مما جعل البلاد في مرحلة ضعف بدأت تزداد بمرور الوقت، ما جعلها فريسة للاستعمار الفرنسي في ظل حكم عثماني يبدو أنه لم يستطع مجاراة التحولات السياسية والاقتصادية والعلمية في أوروبا وبذلك حلت الكارثة.

خاتمة:

كما سبق عرضه يمكننا استخلاص ما يلي:

- إن سقوط الأندلس بيد الإسبان، ومساعدة الجزائر لمسلمي الأندلس كانت بداية المواجهات بين الطرفين، والتي أفضت لاحتلال إسبانيا للجزائر.
 - إن محور وهران إسبانيا محور تعددت علاقاته عبر التاريخ والجغرافيا والثقافة والمجتمع، فكما عاش الجانبان فترات مواجهة، عاشا بالمقابل فترات رخاء وتقارب أملتها الجغرافية والتاريخ كذلك.
 - لقد استحوذت إسبانيا عبر شركاتها على خيرات البلاد خاصة الحيوية منها كالحبوب والمواشي في ظل تناسق سياسي وعسكري.
 - غياب شبه تام للجزائريين على مسرح التجارة في إسبانيا مما انعكس سلبا على المعطيات الاقتصادية والاجتماعية.
 - تعددت اختصاصات الشركات الإسبانية، منها ما تخصصت في الحبوب وأخرى في المرجان وأخرى في مجالات الاستيراد من حلي وسلاح.
 - اختلال الميزان التجاري لصالح الإسبان نتيجة قوة المال والوسائل، وإن كانت الواردات الإسبانية أكبر لكن ذلك بفعل دور الشركات الإسبانية.
 - استثمار الإسبان لبدايات الثورة الصناعية في تطوير سفنهم وتهئية الموانئ خدمة لاقتصادهم، في حين كان العثمانيون يعيشون على الماضي الذي أبقاهم خارج الزمن، والذي مازلنا نعيشه اليوم للأسف.
 - تحالف السياسة والمال خدمة لمصالح إسبانيا وهو ما تجلّى في الأدوار التي لعبها القناصل ونوابهم إضافة للدور البارز الذي لعبه اليهود على المسرح المالي والتجاري، مما أعطى لهم دفعا قويا في السيطرة على الدبلوماسية ووضع الحكام تحت نفوذهم.
 - شهرة موانئ عديدة لعبت دورا أساسيا في الحركة التجارية بين البلدين.
- وأخيرا، فما سيطرة الشركات الإسبانية أمس ما هو إلا سيطرة للشركات المتعددة الجنسيات اليوم في البلاد العربية في إطار ما اصطلح على تسميته بالعولمة.

قائمة المراجع:

- الادريسي. محمد بن محمد بن عبد الله (1988)، ط 1 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن حوقل. محمد (1938)، صورة الأرض، (د.ط)، دار صادر بيروت.
- ابن سعيد المغربي. أبو الحسن على بن موسى (1970)، ط 1 الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت.
- بن موفقي. أمحمد (2011)، العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر واسبانيا (1200 هـ - 1786 م/ 1245 هـ - 1830 م)، مذكرة ماجستير، الجامعة الجزائرية غرداية.
- البكري. أبو عبيد عبد الله (1988)، (د.ط)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي.
- الحيمري. محمد بن عبد المنعم (1980)، ط 2، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج بيروت.
- مغزي مداني. عبيدة (2016)، الأوضاع الاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1792-1830، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر - بسكرة.
- فكاير. عبد القادر (2010)، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و 1791، ظروفهما وانعكاساتهما على البلدين، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، العدد 10.
- Fey (H L) (1858), Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole, Adolphe Perrier, Oran, p 258 .
- Ismet . Terki Hassaine (2004), Oran au xviiiie siècle : du désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne, revue Insaniyat, n°23-34.
- Ismet . Terki Hassaine , La Politique commerciale espagnole dans l'Algérie ottomane (1787-1830), Sources documentaires étrangères. L'Algérie : histoire et société - un autre regard études des archives et témoignages en Algérie et à l'étranger, PNR du CRASC, 2005.
- Lespes .R (1934), ORAN, VILLE ET PORT avant l'occupation française, Revue Africaine, volume 75.

الهوامش:

1- قادس: جزيرة بالاندلس عند طالقة من مدن اشبيلية، وطول جزيرة قادس من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، وبها مزارع كثيرة الربيع. ينظر: الحيمري. محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج بيروت، الطبعة الثانية 1980م، ص 448.

ملحق: معاهدة سلم بين الداى حسن والوفد الاسباني في الجزائر

المرجع: فكايير. عبد القادر، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و 1791، ظروفهما وانعكاساتهما على البلدين، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، العدد 10، 2010، ص ص 415-416.

وينظر كذلك:

Ismet . Terki Hassaine, La Politique commerciale espagnole dans l'Algérie ottomane (1787-1830), Op,Cit , pp 149.

- "في يوم 12 سبتمبر 1791 عقدت معاهدة سلم جديدة بين الداى حسن والوفد الاسباني في الجزائر، تتألف من ديباجة وتسعة مواد من أهمها المادة التي تحدثت عن جلاء الاسبان عن وهران. صادق عليها الملك كارلوس الرابع في 16 ديسمبر، وبدأ الجلاء عن وهران والمرسى الكبير في اليوم التالي (17 ديسمبر) وانتهى في 24 فيفري 1792. وفيما يلي مختصر لبنود الاتفاق:
- 1- أن تنسحب اسبانيا من قاعدة وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط وتسليمهما إلى إيالة الجزائر.
 - 2- تقوم اسبانيا بدفع مبلغ مقداره 120 ألف فرنك في كل سنة لخزينة الجزائر.
 - 3- يسمح للإسبان بإقامة مؤسسة تجارية بالغزوات.
 - 4- يسمح للإسبان بشراء ثلاثة آلاف كيلا من القمح والشعير ومحاصيل زراعية أخرى سنويا من الجزائر.
 - 5- يسمح لها بصيد المرجان على الساحل الغربي من الجزائر.
 - 6- أن تحمل سفينة اسبانية إلى اسطنبول مفتاحين ذهبيين وجرتين من ما عيون وهران كمركز لاستيرادها.
 - 7- إخلاء المدينة من جميع ما فيها من سلاح وذخيرة، التي كانت قد غنمتها منذ استيلائها على مدينة وهران والمرسى الكبير، يوم خروج الباى مصطفى بوشلاغم منها عام 1732.
 - 8- يترك الخيار إلى الإسبان لتهديم ما بنوه منذ عام 1732.
 - 9- يسمح للسكان الإسبان البقاء بمدينة وهران لمدة أربعة أشهر ابتداء من يوم إمضاء عقد الصلح."